الفصل الأول

الاستعارة التصريحية

١ - الاستعارة الأصلية.

٢ - حول مواقع الأصلية من الإعراب.

٣ - الاستعارة التبعية.

٤ - الاستعارة التمثيلية.

الاستعارة التصريحية

الاستعارة التصريحية هى ما صرح فيها بلفظ المشبه بـه، وقـد أبـان الشيخ عبد القاهر الجرجانى مدلولها، ووضح مضمونها وهو بصدد تقسيم الاستعارة بوجه عام إلى تصريحية ومكنية فقال: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه، وتجريه عليه تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد فى شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا...»[1] فالمشبه فى هذه الاستعارة محذوف، ومطوى، والمشبه به، أو المستعار منه هو المذكور على سبيل العارية للمشبه لأجل المبالغة فى التشبيه.

وعلى هذا السنن الواضح، والطريق الملحوب فى بيـان مـدلولهـا، سـار علمـاء البلاغة عند تناولهم لتعريفها، وتحديد المراد بها، فقد عرفها السكاكى بقوله: «... أن يكون الطرف المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه به»[2].

وعرفها بهاء الدين السبكى بقوله «أن يذكر المشبه به مرادا به المشبه»[3].

وقـال الدسـوقى «.. إن المراد بالاسـتعـارة فى كـلام المصنف - أى الخطيب القزوينى - الاستعارة التصريحية، وهى التى يذكر فيها المشبه به دون المشبه»[4].

وتكون هذه الاستعارة أصلية، وتبعية كما سيأتى بيانه - إن شاء الله -.

* * *

(١) دلائل الإعجاز: ٦٧، تعليق الشيخ محمود شاكر.
(٢) المفتاح: ١٧٦.
(٣) عروس الأفراح: ٤/٤٦، شروح التلخيص.
(٤) حاشية الدسوقى على مختصر السعد: ٤/٤٥ شروح التلخيص.

الاستعارة الأصلية

الاستعارة الأصلية هى التى صرح فيها بلفظ المشبه به، وهو المستعار منه، ويكون اسم جنس يصدق على كثير، سواء أكان من أسماء الذوات كأسد، وبحر، وسيف، أو اسم معنى كالنطق، والقتل... وقد عرفها السكاكى بقوله: «هى أن يكون المستعار اسم جنس كرجل، وأسد، وكقيام، وقعود[1].

وسميت أصلية نسبة إلى الأصل أى الاستقلال، وعدم التبعية لغيرها؛ لكون التشبيه داخلا فى المستعار دخولا أوليا[2].

أو سميت بهذا الاسم نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، لأن الموجود من أفرادها فى الكلام أكثر من أفراد التبعية.

قال الدسوقى - رحمه الله - فى حاشيته على مختصر السعد «قوله فأصلية أى فتلك الاستعارة أصلية نسبة للأصل بمعنى الكثير الغالب... ويحتمل أن أصلية نسبة للأصل بمعنى ما كان مستقلا، وليس مبنيا على غيره، ولا شك أن هذه الاستعارة تعتبر أولا من غير توقف على تقدم أخرى تنبنى عليها، بخلاف التبعية، أو بمعنى ما انبنى عليه غيره، ولا شك أنها أصل للتبعية، لبنائها عليها»[3].

وقد تناول صاحب لسان العرب الاستعارة الأصلية على صور متعددة:

إحداها: أن يصرح بلفظ الاستعارة، أو ما اشتق منه، دون أن يصرح أو يشير إلى أنها أصلية، ومن هذا الضرب ما ذكره حول قول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تصف رسول الله ﷺ بأنه دخل تبرق أكاليل وجهه[4] والأكاليل جمع إكليل،

---

(١) المفتاح: ١٧٩.

(٢) ينظر درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق معانى الاستعارات للشيخ أحمد الحموى: ٨، تحقيق الدكتور إبراهيم عبد الحميد التلب.

(٣) حاشية الدسوقى: ٤ / ١١٠، شروح التلخيص.

(٤) لسان العرب: ٥ / ٣٩٢٠ (كلل).

وينظر كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٤ / ١٩٧.

وقد بين صاحب اللسان معناه عندما قال: « ... والإكليل شبه عصابة مزينة بالجواهر، والجمع أكاليل على القياس، ويسمى التاج إكليلا، وكلله أى ألبسه الإكليل »[1].

هذا معناه الحقيقى، ويتابع صاحب اللسان كلامه حول استعارة الأكاليل لوجه رسول الله ﷺ فيقول: « وفى حديث عائشة - رضى الله عنها - دخل رسول الله ﷺ تبرق أكاليل وجهه... قال - أى أبو عبيد -... فجعلت لوجهه الكريم ﷺ أكاليل على جهة الاستعارة قال - أى أبو عبيد - وقيل أرادت نواحى وجهه، وما أحاط به إلى الجبين من التكلل وهو الإحاطة، ولأن الإكليل يجعل كالحلقة، ويوضع هنالك على أعلى الرأس »[2].

فما حكاه صاحب اللسان فى بيان تلك الاستعارة يتضمن وجهين:

أحدهما: أنها جعلت الأكاليل تكسو وجهه كله، فوجهه زاهر مضىء مشرق، وقد أشرب بياضه بحمرة، ويمكن أن يؤيد هذا الوجه بما جاء فى صفته ﷺ أنه كان أزهر، ولم يكن بالأبيض الأمهق وهو الشديد البياض الذى لا يخالط بياضه شىء من الحمرة كلون الجص[3] أى الجير[4].

الثانى: وهو احتمال ضعيف كما تنبىء صيغة الفعل (قيل) الذى صدر به هذا القول أن عائشة - رضى الله عنها - استعارت الأكاليل لنواحى وجهه وأطرافه؛ لأن الإكليل يشبه الحلقة التى تحيط بوجهه الكريم.

وقد يكون من إتمام الفائدة هنا أن أشير إلى ما ذكره صاحب اللسان فى موضع آخر من أن الأكاليل تيجان ملوك العجم، والعمائم تيجان العرب، فالعمائم عند العرب بمنزلة التيجان للملوك[5].

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة (السّن) وهى واحدة الأسنان لعمر الإنسان، وقد صرح فى بيانها بالفعل (استعير) بالبناء للمجهول فقد قال: « السن واحدة الأسنان... »[6] وهذا - كما هو ظاهر من كلامه - على سبيل الحقيقة، ثم

---

(١) المصدر نفسه، والموضع. (٢) المصدر نفسه.
(٣) ينظر لسان العرب: ٦/٤٢٨٨ (مهق) والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢/٣٢١.
(٤) المعجم الوجيز (جصص). (٥) لسان العرب: ١/٤٥٤، ٤٥٥ (توج).
(٦) المصدر نفسه: ٣/٢١٢١ (سنن).

أخذ يلقى الضوء على تلك الاستعارة فقال: «... وقد يعبر بالسن عن العمر... وفى حديث عثمان وجاوزت أسنان أهل بيتى أى أعمارهم يقال فلان سنّ فلان إذا كان مثله فى السن... وسنّ الجارحة مؤنثة ثم استعيرت للعمر، استدلالا بها على طوله وقصره، وبقيت على التأنيث...»[1].

فالسنّ مستعارة للعمر، وهى مؤنثة، وبقيت على تأنيثها ولعل فى تأنيث العمر وهو مذكر إيماء وإشعارا بالمستعار منه – أعنى السن الجارحة –.

قال الزمخشرى – رحمه الله –: «ومن المجاز كبرت سنه، وهو حديث السنّ، وكبير السن، وقد أسنّ[2] ولا يخفى أن المستعار منه وهو (السنّ) محسوس، والمستعار له وهو العمر معقول.

ومن هذا القبيل الذى صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (الذوائب) جمع ذؤابة وهى الشعر المضفور من شعر الرأس، للعز، والشرف. قال صاحب لسان العرب:

«وفى حديث دغفل وأبى بكر إنك لست من ذوائب قريش هى جمع ذؤابة، وهى الشعر المضفور من شعر الرأس، وذؤابة الجبل أعلاه، ثم استعير للعز، والشرف، والمرتبة أى لست من أشرافهم، وذوى أقدارهم»[3].

وهذه استعارة منفية، بالفعل (ليس) والنفى فرع الإثبات، فلا تتصور فى النفى إلا بعد تصور استعارة الذؤابة للرفعة، والعز، والشرف فى الإثبات.

وهذه الاستعارة كسابقتها من استعارة المحسوس للمعقول. وما قاله ابن منظور فى تلك الاستعارة، ونقلته عنه آنفا، هو نص كلام ابن الأثير حولها[4] دون زيادة أو نقصان.

ومن هذا النمط الذى صرح فيه بالفعل (استعار) وهو بصدد تناول استعارة (المنجل) الذى يحصد به، وتشذب أعواد الشجر، لأسنان الإبل الحادة القاطعة فقد

---

(١) المصدر نفسه: ٣/ ٢١٢٢، ٢١٢٣ (سنن) والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤١٢.
(٢) أساس البلاغة (سنن).
(٣) لسان العرب: ٣/ ١٤٨٠ (ذأب).
(٤) النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٥١ (ذأب).

قال: «والمنجل ما يحصد به... والمنجل الذى يقضب به العود من الشجر، فينجل به أى يرمى به... واستعاره بعض الشعراء لأسنان الإبل فقال:

إذا لم يكن إلا القتاد تنزعت مناجلها أصل القتاد المكالب»[1]

فتلك الاستعارة تصور أن أسنان الإبل حادة تأتى على شجر القتاد من أصله على الرغم من أنه شجر شاك صلب، وفى المثل العربى من دون ذلك خرط القتاد[2] يضرب للشيء لا ينال إلا بمشقة عظيمة. وغنى عن البيان أن المستعار منه، والمستعار له فى هذه الاستعارة محسوسان.

وكلمة (المكالب) فى قول الشاعر المتقدم تحتاج إلى أن يكشف الغطاء عن معناها، وقد نقبت عنه فى لسان العرب، فوجدت ابن منظور - رحمه الله - قد ذكر أن معنى كلاليب الشجر شوكه فقال: «وكلاليب البازى مخالبه، كل ذلك على التشبيه بمخالب الكلاب، والسباع، وكلاليب الشجر شوكه كذلك، وكالبت الإبل رعت كلاليب الشجر...»[3].

ومن هذا الفن الذى صرح فيه بالفعل (استعير) بالبناء للمفعول ما ذكره من استعارة عذرة الناس، ونحوها للعيوب، والمساوىء والمقابح فقد قال: «والعُر، والعُرة ذرق الطير، والعرة أيضًا عذرة الناس والبعر... وفى الحديث: إياكم ومشارة الناس؛ فإنها تظهر العرة، وهى القذر، وعذرة الناس، فاستعير للمساوىء والمثالب»[4].

فكلمة (العرة) فى الحديث.. (فإنها تظهر العّرة) مفعول به، وقد استعيرت لمثالب الناس؛ لأن العيّاب الذى يسبّ الناس، ويشتمهم يقابل بمثل ما اجترح، واقترف، فتظهر المعايب، وتتجلى المساوىء، وواضح أن تلك الاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول.

ومن تلك الصور التى صرح فيها بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة

---

(١) لسان العرب: ٦/٤٣٥٥ (نجل).
(٢) المصدر نفسه: ٥/٣٥٢٥ (قتد).
(٣) لسان العرب: ٥/٣٩١٢ (كلب).
(٤) المصدر نفسه: ٤/٢٨٧٥ (عرر).
وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ٣/٢٠٥.

(الغوغاء) وهو الجراد، لأراذل الناس، ورعاعهم، فقد قال: «... وفى حديث عمر قال له ابن عوف يحضرك غوغاء الناس. أصل الغوغاء الجراد حين يخف للطيران ثم استعير للسّفلة من الناس، والمتسرعين إلى الشر، ويجوز أن يكون الغوغاء الصوت، والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم»[1].

فالاستعارة فى كلمة (غوغاء) وهى فاعل الفعل (يحضر) وقد وجهها صاحب لسان العرب تبعا لابن الأثير[2] توجيهين:

أحدهما: استعارة (الغوغاء) أى الجراد عندما يبدأ فى الطيران دون نظام، أو ترتيب، فى عجلة، وسرعة، لهؤلاء الناس الذين يسرعون إلى الشر، ويبادرون إليه، دون عقل يردهم، أو حلم يكبح جماحهم، ويكفكف من سورتهم.

الثانى: أن يكون مستعارا من ناحية ضوضائه، وجلبته، لكثرة صخب هؤلاء الناس الرذلاء وضجيجهم، وهى على كلا التوجيهين استعارة محسوس لمحسوس. وفيها تنفير، وذم لهذه الصفات المشينة المعيبة.

ومن الاستعارات التى صرح فيها بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (الترهات) وهى الطرق الصغار غير الجادة، للباطل، وطرقه الكثيرة الملتوية، فقد قال: «التُّرَّهات، والتُّرُهات - بفتح الراء المشددة وضمها - الأباطيل، واحدتها ترهة... وهى فى الأصل الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم، الجوهرى: الترهات الطرق الصغار غير الجادة.. فارسى معرب، وأنشد ابن برى:

ذاك الذى وأبيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل

واستعير فى الباطل فقيل الترهات البسابس، والترهات الصحاصح وهو من أسماء الباطل»[3].

ويلاحظ أن كلمة (ترهات) فى ختام كلامه حول تلك الاستعارة وصفت مرة بالبسابس، وأخرى بالصحاصح مما يجعل النفس تتطلع وتطمح إلى معرفة معناهما، وقد وجدت صاحب اللسان - رحمه الله - قد بيّن معنى (البسابس) فى موضع آخر

(١) لسان العرب: ٥/٣٣١٧ (غوغ).
(٢) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣/٢٠٥.
(٣) لسان العرب: ١/٤٣١ (تره).

حين قال: «والبَسْبَسَة السّعاية بين الناس.. والبسابس الكذب... والترهات البسابس هى الباطل..»[1].

وكذلك بين معنى الصحاصح فى موضع لاحق فقال «والترهات الصحاصح هى الباطل...»[2].

فقد بين معنى كل منهما بلفظ الباطل، وعلى ذلك تكون كل منهما صفة كاشفة، ومنها قول معاوية:

تطاول ليلى واعترتنى وساوسى لآت أتى بالترهات البسابس[3]

وهى استعارة محسوس لمعقول، استعيرت الترهات للباطل، لأن الباطل فيه التواء، ويسلك طرقا معوجة، أما الحق، فهو واضح أبلج.

ومن هذا النموذج الذى صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (النُّعَرَة) وهو ذباب أزرق يدخل أنف البعير، أو الحمر، أو الخيل، للكبر، والأنفة قال صاحب اللسان:

«والنعرة ذباب أزرق يدخل فى أنوف الحمير والخيل والجمع نُعر... وقولهم إن فى رأسه نعرة أى كبرا... ويقال لأطيرن نعرتك أى كبرك وجهلك من رأسك، والأصل فيه أن الحمار إذا نعر ركب رأسه فيقال لكل من ركب رأسه فيه نعرة... وفى حديث عمر رضى الله عنه لا أقلع عنه حتى أطير نعرته، وروى حتى أنزع النعرة التى فى أنفه...»[4].

فاستعمال (النعرة) فى الذباب الأزرق الذى يدخل أنوف الحيوانات التى ذكرها حقيقة لغوية، وتستعار للكبر، والأنفة فقد قال: «... قال ابن الأثير هو الذباب الأزرق ووصفه وقال يتولع بالبعير، ويدخل فى أنفه، فيركب رأسه، سميت بذلك لنعيرها، وهو صوتها قال – أى ابن الأثير – ثم استعير للنخوة والأنفة، والكبر أى حتى أزيل نخوته، وأخرج جهله من رأسه...»[5].

وفى هذه الاستعارة، وهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول ذم للكبر،

---

(١) المصدر نفسه: ١/ ٢٨٢ (بسبس). (٢) المصدر نفسه: ٤/ ٢٤٠٢ (صحح).
(٣) أساس البلاغة للزمخشرى (تره). (٤) لسان العرب: ٦/ ٤٤٧٢ (نعر).
(٥) لسان العرب: ٦/ ٤٤٧٢ (نعر)، والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٥/ ٨٠.

والتعالى على الناس، وفيها إيحاء بأن المتكبر يمتلىء رأسه بالطنين الأجوف، والأصوات الفارغة من المضمون التى تشمئز منها النفوس، وتعافها الطباع السليمة، والأذواق الرفيعة.

ومن الاستعارة التى صرح فيها بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة (الْمَسَك[1] وهى الأسورة[2] من الخلاخيل أو من الذبل[3] أو من القرون، أو العاج للماء الذى تدخل فيه الأتن أرجلها فيحيط بها فقد قال: «والمسك الذبل، والمسك الأسورة والخلاخيل من الذبل والقرون، والعاج واحدته مَسَكة... وفى حديث بدر قال ابن عوف ومعه أمية بن خلف فأحاط بنا الأنصار حتى جعلونا فى مثل المسكة أى جعلونا فى حلقة كالسوار، وأحدقوا بنا..»[4].

فقوله (حتى جعلونا فى مثل المسكة) تشبيه صريح أداته (مثل) وقد أبانه، وأوضحه.

ثم ذكر الاستعارة عقب ذلك التشبيه فقال: «... واستعارة أبو وجزة فجعل ما تدخل فيه الأتن أرجلها من الماء مَسَكا فقال:

حتى سلكن الشوى منهن فى مسك من نسل جوابة الآفاق مهداج»[5]

والشوى الجلد[6] والمراد به جلد الأرجل.

فالمستعار منه (مسك) وهو محسوس، والمستعار له الماء وهو محسوس أيضًا.

ومن المواضع التى صرح فيها بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة (المصطار) وهو الحامض من الخمر، للبن الطيب الذى لم يتغير طعمه، فقد قال: «المصطار، والمصطارة الحامض من الخمر قال عدى بن الرقاع:

مصطارة ذهبت فى الخمر نشوتها كأن شاربها مما به لمم

---

(١) المسك جمع مسكة وهى السوار يقال فى يدها مسكة أى سوار.

(٢) جمع سوار.

(٣) هو ظهر السلحفاة يجعل منه الأمشاط ونحو ذلك.

لسان العرب: ٣/١٤٨٩ (ذبل).

(٤) لسان العرب: ٦/٤٢٠٣ (مسك).

(٥) المصدر السابق نفسه، وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٤/٣٣١ (مسك).

(٦) لسان العرب: ٤/٢٣٦٨ (شوا).

أى كان شاربها مما به ذو لمم... قال ابن الرقاع أيضًا فاستعاره - أى المصطار - للبن:

نقرى الضيوف إذا ما أزمة أزمت مصطار ماشية لم يعد أن عصرا!

قال أبو حنيفة جعل اللبن بمنزلة الخمر فسماه مصطارا، يقول إذا أجدب الناس سقيناهم اللبن الصريف، وهو أحلى اللبن وأطيبه، كما نسقى المصطار»[1].

ويبدو أن قرينة تلك الاستعارة هى إضافة المصطار للماشية؛ لأن الذى يضاف للماشية هو اللبن، وليس الخمر، وقوله (لم يعد أن عصرا) ترشيح للاستعارة؛ لأنه ملائم للمستعار منه - وهو المصطار.

ومن البين أن المستعار منه والمستعار له فى هذه الاستعارة محسوسان، لأنهما من المذوقات، والغرض من الاستعارة - كما يزعم الشاعر - مدح اللبن وجعله بمنزلة الخمر فى مذاقه، وطعمه.

ومن هذا اللون الذى صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (الطبع) - بفتح الطاء والباء - وهو الدنس الذى يغشى السيف، للعيوب، والأخلاق السيئة، والآثام. فقد قال: «والطبْع الختم، وهو التأثير فى الطين ونحوه... الطبع بالسكون الختم، وبالتحريك الدنس، وأصله من الوسخ والدنس، يغشيان السيف ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار، والآثام، وغيرهما من المقابح»[2].

فالطبع - بسكون الباء - وهو الختم الذى يؤثر فى المختوم تأثيرا حسيا من قبيل الحقيقة كالختم على الطين والشمع - مثلا - والطبع - بالتحريك - ما يعلو السيف، ويغشاه كالصدأ من قبيل الحقيقة أيضًا، ويستعار لما يلطخ صاحبه من المقابح والعيوب والآثام.

وقد مثل الزمخشرى - رحمه - الله - لاستعارة الطَّبع للعيوب فقال: وإن فلانا لطمع طبع، دنس الأخلاق، ورب طمع يهدى إلى طبع وقال المغيرة ابن حبناء:

وأمك حين تنسب أم صدق ولكـن ابنها طَبِعٌ سخيف[3]

---

(١) لسان العرب: ٦/٤٢١٧ (مصطر).

(٢) لسان العرب: ٤/٢٦٣٥ (طبع).

(٣) أساس البلاغة (طبع).

ومن الصور التى صرح فيها بلفظ (الاستعارة) ما ذكره من استعارة (الطعم) وهو ما يحب ويشتهى فى الشىء المأكول، لمن له قيمة، ومنزلة بين الناس، وعدمه لمن لا اعتداد به، ولا وزن له، فقد قال صاحب اللسان : « والطَّعْم الأكل، والطُّعم ما أكل، وروى الباهلى عن الأصمعى الطُّعم الطعام، والطَّعم الشهوة، وهو الذوق، والطعم ما يشتهى، يقال ليس له طعم، وما فلان بذى طعم إذا كان غثا، وفى حديث بدر ما قتلنا أحدا به طعم، ما قتلنا إلا عجائز صلعا. هذه استعارة أى قتلنا من لا اعتداد به، ولا معرفة له، ولا قدر »[1].

فالمستعار منه كما هو جلى الطعم وهو من المذوقات التى تدرك باللسان محسوس، والمستعار له، وهو القدر، والمنزلة معقول.

وقد حكى صاحب اللسان عن بعضهم ما يجلى هذا المعنى، ويبرزه فى قول الشاعر:

ألا ما لنفس لا تموت فينقضى شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

فقال إن معناه لها -أى هذه النفس - حلاوة، ومنزلة من القلب[2].

وذكر صاحب اللسان أيضًا أن الطعم يستعار للعقل والحزم[3].

وهى من استعارة المحسوس للمعقول كذلك، وفى هذا تعزيز للقول بأن اللفظة الواحدة تثمر عدة استعارات، وتخرج الصدفة الواحدة عدة من الدرر[4].

ومن هذا النوع الذى صرح فيه بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة دمع العين، للدسم الذى يسيل من الجفنة المترعة بالطعام فقد قال: « الدمع ماء العين والجمع أدمع ودموع، والقطرة منه دمعة... وعين دموع كثيرة الدمعة، أو سريعتها، واستعار لبيد الدمع فى الجفنة يكثر دسمها، ويسيل فقال:

ولكن ما لى غاله كل جفنة إذا حان ورد أسبلت بدموع

يقال جفنة دامعة، وقد دمعت... »[5].

---

(١) لسان العرب: ٤ / ٢٦٧٤ (طعم).
وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣ / ١٢٥.
(٢) لسان العرب: ٤ / ٢٦٧٤ (طعم).
(٣) المصدر نفسه. والموضع.
(٤) ينظر أسرار البلاغة: ٤٢، ٤٣.
(٥) لسان العرب: ٢ / ١٤٢٢ (دمع).

الاستعارة فى قوله (أسبلت بدموع) يقال أسبلت العين أى سال دمعها[١].

فلفظة (دموع) المجرورة فى عجز البيت مستعارة للدسم، والودك الذى يسيل من الجفنة الممتلئة بالطعام، من استعارة المحسوس للمحسوس.

وكلمة (جفنة) فى البيت معناها الرجل الكريم المضياف، ويبدو مما ذكره صاحب اللسان أنها مجاز مرسل من إطلاق المسبب على السبب، يقول فى ذلك: «والجفنة الرجل الكريم، وفى الحديث أنه قيل له أنت كذا، وأنت كذا، وأنت الجفنة الغراء كانت العرب تدعو السيد المطعام جفنة؛ لأنه يضعها، ويطعم الناس فيها؛ فسمى باسمها، والغراء البيضاء أى أنها مملوءة بالشحم والدهن»[٢] والجفنة فى الأصل أكبر ما يكون من القصاع[٣].

ومن هذا الضرب الذى صرح فيه بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة الرفاهية، وهى لين العيش، وطيبه، للنخل النابتة فى مكان به ماء كثير دائم فقد قال: «الرفاهة والرفاهية.. رغد الخصب، ولين العيش... وأرفههم الله، ورفههم، ورفهنا نرفه رَفْها وَرِفْها ورفوها... واستعار لبيد الرفه فى نخل نابتة على الماء فقال:

يشربن رفهًا عراكًا غير صادرة فكلها كارع فى الماء مغتمر[٤]

فهذه النخل تكرع من الماء الذى يجاورها، ويلاصقها، فهى فى رفاهية، وعيش هنىء، والذي يتراءى لى أنها من استعارة المعقول -أعنى الرفاهية، والتنعم للمحسوس، وهو وجود النخل على شاطىء الجدول، أو الغدير، أو ما شاكل ذلك، وكانت هذه صورة نادرة فى بلاد العرب، فغبطها الشاعر على ما هى فيه من نعيم، ورفاهة.

---

(١) ينظر المعجم الوجيز (سبل).

(٢) لسان العرب: ١/٦٤٥ (جفن).

(٣) المصدر نفسه ١/٦٤٤ (جفن).

(٤) لسان العرب: ٣/١٦٩٨ (رفه).

والضمير فى يشربن للنخل، ورفها-كلما شاءت.

وكارع -مقيم منغمس فى الماء، ومغتمر - قد غمره الماء.

وغير صادرة -أى تشرب، ولا تصدر كما تصدر الإبل.

ينظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة: ٦٠ حققه، وقدم له الدكتور إحسان عباس - ط وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت سنة ١٩٦٢م.

ويبدو أن هذه النخيل كانت كثيرة، فاعتبرها الشاعر (عراكا) أى مزدحمة على الماء كما تزدحم الإبل، إذا وردت الماء، وقد قال صاحب اللسان فى موضع آخر «والعراك ازدحام الإبل على الماء»[1].

ومن هذه الطريقة التى صرح فيها بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة الخسف، وهو حبس الدابة دون علف، للذل والهوان فقد قال: «والخسف والخسف الإذلال قال قيس بن الخطيم:

ولم أر كامرىء يدنو لخسف له فى الأرض سير وانتواء[2]

... ويقال سامه الخسف، وسامه خَسفا وخُسفا أيضًا بالضم أى أولاه ذلا... وفى حديث على من ترك الجهاد ألبسه الله الذلة وسيم الخسف، والخسف النقصان والهوان، وأصله أن تحبس الدابة على غير علف، ثم استعير فوضع موضع الهوان»[3].

وقد جاءت هذه الاستعارة فى قول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الظلم فينا

يقول: إذا ألحق هذا الملك الذل بالناس، منعناه من إقرار الذل فينا، ولم ننقد له كسائر الناس؛ لشجاعتنا على جميع من سوانا[4].

ومن هذا النهج الذى صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة الساعة وهى الجزء القليل من الوقت لاسم يوم القيامة فقد قال: «الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار والجمع ساعات وساع قال القطامى:

وكنا كالحريق لدى كفاح فيخبو ساعة ويهب ساعا

... والليل والنهار معا أربع وعشرون ساعة والساعة فى الأصل تطلق بمعنيين: **أحدهما**: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا هى مجموع اليوم والليلة. **والثانى**: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل يقال جلست عندك ساعة من النهار أى وقتا قليلا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة»[5] فالساعة بمعنى الوقت

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٢٩١١ (عرك).
(٢) نوى الشىء وانتواه – قصده – ينظر لسان العرب: ٦/ ٤٥٨٨ (نوى).
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١١٥٨ (خسف) – والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢/ ٣١.
(٤) ينظر شواهد الكشاف: ١٢٨. (٥) لسان العرب: ٣/ ٢١٥١.

القليل مستعار ليوم القيامة لأنها تقوم فى لمحة خاطفة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ...﴾ [النحل: ٧٧].

ومن أجل ذلك تابع صاحب لسان العرب كلامه قائلا: «... قال الزجاج معنى الساعة فى كل القرآن الوقت الذى تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم فلقلة الوقت الذى تقوم فيه سماها ساعة»(١).

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الموت للفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية فقد قال: «وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية ومنه الحديث أول من مات إبليس لأنه أول من عصى، وفى حديث موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قيل له إن هامان قد مات فلقيه، فسأل ربه فقال له أما تعلم أن من أفقرته فقد أمته»(٢).

فقد صرح بالفعل (يستعار) فالموت مستعار منه وهذه الأشياء مستعار لها. ومما هو بسبيل من ذلك وأذكره هنا ليكون الكلام حول استعارة الموت متجاورا ما ذكره من استعارة الموت لأشياء غير التى سبق ذكرها هنا، وسمى الاستعارة فيها مثلا ما ذكره فى قوله: «... والموت السكون وكل ما سكن فقد مات وهو على المثل وماتت النار موتا برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء، وماتت الريح ركدت وسكنت، ومات الماء بهذا المكان إذا نشفته الأرض وكل ذلك على المثل»(٣).

والموتان من الأرض ما لم يستخرج، ولا اعتمر على المثل، وأرض ميتة وموات من ذلك»(٤).

ثانيتها: أن يعبر عن الاستعارة الأصلية بلفظ التشبيه، أو ما اشتق منه، ولعله راعى فى ذلك أصل الاستعارة الذى بنيت عليه، وهو التشبيه.

وأستهل هذا النمط بما أشار إليه من استعارة (الكافور) وهو وعاء طلع النخل،

---

(١) المصدر نفسه والموضع.
(٢) لسان العرب: ٦/ ٤٢٩٥، ٤٢٩٦ (موت).
وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٤/ ٣٦٩.
(٣) المصدر نفسه والموضع.
(٤) نفسه.

وأكمام العنب والفواكه، لكنانة النبى ﷺ، وهى جعبة السهام المتخذة من جلود، أو خشب[1] فقد قال:

«والكافور كم العنب قبل أن ينور... وجمع الكافور كوافير... والكافور الطلع. التهذيب كافور الطلعة وعاؤها الذى ينشق عنها؛ سمى كافورا لأنه قد كفرها أى غطاها، وقول العجاج:

* كالكرم إذ نادى من الكافور *

كافور الكرم الورق المغطى لما فى جوفه من العنقود شبهه بكافور الطلع؛ لأنه ينفرج عما فيه أيضًا، وفى الحديث أنه كان اسم كنانة النبى ﷺ الكافور تشبيها بغلاف الطلع، وأكمام الفواكه؛ لأنها تسترها وهى فيها كالسهام فى الكنانة»[2].

فالكافور وهو وعاء طلع النخل مستعار منه، وهو اسم جنس يصدق على كثير، قد استعير لكنانة النبى ﷺ التى كان يضع فيها السهام. وتوحى هذه الاستعارة بأن كنانته ﷺ فياضة معطاء، واعدة، تمتلىء بسهام لا تكاد تنفد، فهى عامرة لا ينضب لها معين، ولا ينقطع لها مدد؛ لأن هذا الكافور يصير طلعه فى المستقبل عذقا كبيرا يمتلىء بالبسر، والرطب.

ولعله من أجل ذلك سميت مصر كنانة الله فى أرضه لأن جنودها فى رباط دائم إلى يوم القيامة.

ويلاحظ أن صاحب اللسان جعل فى وسط كلامه كافور الطلع مستعارا منه، فهو حقيقة، والمستعار له الكنانة، وأكمام الفواكه. وفى آخر كلامه جعل المستعار منه شيئين كافور الطلع، وأكمام الفواكه والمستعار له الكنانة وحدها فالاستعارة فيها.

فنجده قد عبر عن تلك الاستعارة بقوله (... شبهه بكافور الطلع..) وقوله (.. تشبيها بغلاف الطلع..) (والكافور) استعارة، وليس تشبيها، وقد سماها تشبيها باعتبار الأصل.

ومن هذا الضرب الذى عبر فيه بالفعل (شبه) بالبناء للمجهول عن الاستعارة الأصلية ما ذكره من استعارة (الجعفر) وهو النهر للناقة الغزيرة اللبن فقد قال:

---

(١) ينظر لسان العرب: ٥/ ٣٩٤٣ (كنن).

(٢) لسان العرب: ٥/ ٣٩٠٠ - ٣٩٠١ (كفر).

«الجعفر النهر عامة... وقيل: الجعفر النهر الملآن، وبه شبهت الناقة الغزيرة قال الأزهرى أنشدنى المفضل:

من للجعافر يا قومى فقد صُريت وقد يساق لذات الصَّرية الْحَلَبُ

... وبه سمى الرجل»[1].

ومعنى (صريت الناقة) حبس اللبن فى ضرعها، فهى مصرّاة قد تحفل اللبن، وتجمع فى ضرعها، وصَرَى الماء جمعه.

وهذه صورة من صور الغش والتدليس، وهى ترك الناقة، أو غيرها دون حلب أياما حتى يعظم ضرعها، فيرغب فيها من يود شراءها وفى الحديث (التصرية خلابة»[2].

فالمستعار منه الجعافر، والمستعار له النوق، وهى استعار أصلية، أشار إليها صاحب لسان العرب بقوله: (شبهت الناقة...) وليس فى الكلام تشبيه اصطلاحى، إنما هى استعارة أصلها التشبيه.

ومن هذا اللون الذى أشار فيه إلى الاستعارة الأصلية بالفعل (شبه) ما ذكره من استعارة (الْجَلْس) وهى الصخرة العظيمة للناقة الشديدة، فقد قال:

«والْجَلْسُ الصخرة العظيمة الشديدة... وناقة جلس شديدة مشرفة شبهت بالصخرة، والجمع أجلاس، قال ابن مقبل:

فأجمع أجلاسا شدادا يسوقها إلىّ إذا راح الرعاء رعائيا

والكثير جلاس، وجمل (جَلْس) كذلك، والجمع جلاس»[3].

فالمستعار منه (الجلس) وهى الصخرة، وقد عبر عنها بالفعل (شبه) فى قوله (شبهت) بالصخرة، يقصد من ذلك التشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة.

والاستعارة فى كلمة (أجلاسا) وهى مفعول به، والقرينة كما يبدو (يسوقها..) لأن الصخرات لا تسوقها الرعاء.

---

(١) لسان العرب: ١/ ٦٣٦ (جعفر).

(٢) ينظر المصدر نفسه: ٤/ ٢٤٤١ (صرى) - وأساس البلاغة، للزمخشرى (صرى) - والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣/ ٢٧.

(٣) لسان العرب: ١/ ٦٥٨ (جلس).

ومن ذلك أيضًا ما ذكره من استعارة (الغربال) للدف الذى يضرب به، فقد قال «غربل الشيء نخله، والغربال ما غربل به معروف، غربلت الدقيق وغيره.. وفى الحديث أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال عَنى بالغربال الدف، شبه الغربال به فى استدارته»[1].

فالغربال مستعار للدف؛ لأن كلا منهما مستدير، وقد عبر عن هذه الاستعارة الأصلية بقوله (شبه الغربال إلخ) والحديث وما بعده منقول عن ابن الأثير[2].

ويبدو أن قرينة تلك الاستعارة هى (واضربوا عليه) لأن الضرب على النكاح، وإشهاره لا يكون بالغربال، وإنما يكون بالدف.

ومن الأصلية التى ألمع إليها (بالتشبيه) ما ذكره من استعارة (الرؤد) وهو الغصن اللدن الرخص، للفتاة الحسنة الممشوقة القوام فقد قال:

«غصن رءود، وهو أرطب ما يكون وأرخصه... وتراؤده كقولك تواعُدُه تميّله، وتميّحه يمينا وشمالا، والرأدَةُ بالهمزة، والرؤدة، والرءودة، على وزن فَعُولة كله الشابة الحسنة السريعة الشباب، مع حسن غذاء، وهى الرُّؤْدُ أيضًا... وامرأة رادة فى معنى رؤد، والجارية الممشوقة قد ترأد في مشيها، ويقال للغصن الذى نبت من سنته أرطب ما يكون وأرخصه رؤد الواحدة رؤدة وسميت الجارية رُؤْدا تشبيها به»[3].

(فالرؤد) ونحوه مما ذكره مستعار لهذه الفتاة، وهو اسم جنس يصدق على كثير، فهى استعارة أصلية، ألمع إليها صاحب اللسان بقوله (وسميت الجارية رؤدا تشبيها به) وليس فى كلامه تشبيه، بل استعارة أصلها تشبيه.

ويلاحظ أن كلامه ليس فيه مثال لاستعارة (الرّؤد) لتلك الشابة وقد ظفرت بمثال قد أورده الزمخشرى، وهو بصدد الكلام عن هذا الرؤد فيما أنشده الأصمعى:

تساهم ثوباها ففى الدرع رأدة وفى المرط لفّاوان ردفهما ثقل[4]

فقوله (فى الدرع رأدة) – فيما يظهر من سياقه –معناه فى الدرع فتاة حسنة.

---

(١) المصدر نفسه: ٥ / ٣٢٣١ (غربل).
(٢) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣ / ٣٥٢.
(٣) لسان العرب: ٣ / ١٥٣٢ (رأد).
(٤) أساس البلاغة (رأد).

تشبه الغصن الناعم، والقرينة (فى الدرع) لأن الغصن لا يكون فى الدرع، وهو القميص[1] وإنما يكون فيه هذه الحسناء.

ومعنى قول الشاعر (تساهم ثوباها) إما أن يكون من المسهم وهو البرد المخطط وإما أن تكون غيرت لونهما من قولهم ساهم الوجه أى متغيره[2].

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة (الجفاء) وهو الزبد الذى ينفيه السيل، للمتسرعين من الناس فقد قال:

«وجفأ الوادى غثاءه، يجفأ جفأ رمى بالزبد والقذى، وكذلك جفأت القدرُ رمت بزبدها عند الغليان، واسم الزبد الجُفاء، وفى حديث البراء رضى الله عنه يوم حنين انطلق جفاءٌ من الناس إلى هذا الحىّ من هوازن أراد سَرَعان الناس وأوائلهم شبههم بجفاء السيل»[3].

وقد كرر صاحب اللسان هذا الحديث، وما فيه من استعارة فى موضع آخر فقال: «.. وفى حديث حنين خرج جفاء من الناس قال ابن الأثير هكذا جاء فى رواية قالوا ومعناه سرعان الناس، وأوائلهم تشبيها بجفاء السيل، وهو ما يقذفه من الزبد، والوسخ، ونحوهما»[4].

وسياق الحديث ينبىء أن هؤلاء الناس أشرار من حشالة الناس وسقاطهم، يشبهون الأقذاء، والأوساخ التى يجرفها السيل من الوادى وينقيه منها، قال تعالى: ﴿ ..فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً .. ﴾ [الرعد: ١٧] أن يجفؤه السيل ويرمى به[5].

ويبدو أن قوله فى الحديث «.. من الناس» تجريد للاستعارة؛ لأنه ملائم للمستعار له، وهم رعاع الناس وأراذلهم.

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة (الجعس) و(الجعسوس) وهو العذرة، للئيم

---

(١) فى لسان العرب ودرع المرأة قميصها: ٢/ ١٣٦١ (درع).
(٢) ينظر لسان العرب: ٣/ ٢١٣٥، ٢١٣٦ (سهم).
(٣) لسان العرب: ١/ ٦٣٩ (جفأ).
(٤) المصدر نفسه: ١/ ٦٤٦ (جفن) والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٧٧.
(٥) ينظر الكشاف: ٢/ ٢٨٥.

الردىء من الرجال فى خلقه، وخلقه فقد قال: الجَعْسُ العذرة... الجُعسوس اللئيم الخلقة والخلق... وكأنه اشتق من الجعس صفة على فعلول، فشبه الساقط المهين من الرجال بالخُرْءِ ونَتْنه.... وفى حديث عثمان رضى الله عنه لما أنفذه النبى ﷺ إلى مكة نزل على أبى سفيان فقال له أهل مكة ما أتاك به ابن عمك؟ قال سألنى أن أخلى مكة لجعاسيس يثرب، الجعاسيس اللئام فى الخلْق والخلق الواحد جُعسوس بالضم ومنه الحديث أتخوفنا بجعاسيس يثرب»(١).

فالاستعارة فى كلمة (جعاسيس) المجرورة باللام مرة، وبالباء أخرى، استعار أبو سفيان وكان لا يزال مشركا عذرات الناس، لأهل يثرب من الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم، ذما لهم، واستخفافا بهم، ولعل قرينة هذه الاستعارة هى إضافة (جعاسيس) ليثرب، وقد عبر عنها صاحب اللسان بقوله: (فشبه الساقط المهين من الرجال بالخرء ونتنه...) وليس فى الكلام تشبيه اصطلاحى، وإنما فيه استعارة أصلية.

وقد نقل مضمونها من قول ابن الأثير «فى حديث عثمان رضى الله عنه لما أنفذه النبى ﷺ إلى مكة نزل على أبى سفيان فقال له أهل مكة ما أتاك به ابن عمك؟ فقال سألنى أن أخلى مكة لجعاسيس يثرب الجعاسيس اللئام فى الخلق والخلق الواحد جعسوس بالضم، ومنه الحديث الآخر أتخوفنا بجعاسيس يثرب»(٢).

ومن ذلك استعارة (المفاليق) وهم المفلسون من المال، للجهلة الخاوين من العلم، فقد قال: «والفيلق الجيش، والجمع الفيالق... وفى حديث الشعبى وسئل عن مسألة فقال ما يقول فيها هؤلاء المفاليق؟ هم الذين لا مال لهم، الواحد مفلاق كالمفاليس، شبه إفلاسهم من العلم، وعدمه عندهم بالمفاليس من المال»(٣).

فمن معانى المفاليق على الحقيقة المفلسون المعدمون من المال، وقد استعار (الشعبى) هؤلاء المفاليق، للصفر من العلم، الخالين من المعرفة، وقد أشير إلى تلك الاستعارة الأصلية بالفعل (شبه) باعتبار الأصل.

---

(١) لسان العرب: ١/٦٣٤ (جعس) - وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ١/٢٧٦.

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر: ١/٢٧٦.

(٣) لسان العرب: ٥/٣٤٦٤ (فلق) - وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣/٤٧٢.

ولفظ المفاليق وقع بدلا من اسم الإشارة هؤلاء، وهو فاعل ويفهم من سياقها أن قرينتها حالية، يدل عليها مقام الكلام.

ومن ذلك ما ذكره من استعارة (القتير) وهو رءوس مسامير الدروع للشيب فى البياض فقد قال: «والقتير الشيب وقيل هو أول ما يظهر منه، وفى الحديث أن رجلا سأله عن امرأة أراد نكاحها قال وبقدر أى النساء هى؟ قال قد رأت القتير. قال دعها، القتير المشيب، وأصل القتير رءوس مسامير حلق الدروع تلوح فيها، شبه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر»[1].

الاستعارة كما لا يخفى فى كلمة (القتير) من قوله: (قد رأت القتير وهى مفعول به، وقد أشار إليها بالفعل (شبه) باعتبار أن أصلها التشبيه، وهى من استعارة المحسوس للمحسوس، ومعنى نقب فى سواد الشعر ظهر عليه[2] ويبدو أن قرينتها حالية يدل عليها سياق الكلام.

ومن الأصلية التى سماها تشبيها ما ذكره من استعارة (اليعسوب) وهو أمير النحل، وذكرها، للرئيس والمتفرد من الناس فقد قال: «... واليعسوب أمير النحل وذكرها، ثم كثر ذلك حتى سمى كل رئيس يعسوبا... وفى حديث على يصف أبا بكر رضى الله عنهما كنت للدين يعسوبا أولا حين نفر الناس عنه، اليعسوب الرئيس والمقدم، وأصله فحل النحل... وفى حديث على رضى الله عنه أنه مر بعبد الرحمن ابن عتاب بن أسيد مقتولا يوم الجمل فقال لهفى عليك يعسوب قريش... يعسوب قريش سيدها شبهه فى قريش بالفحل فى النحل»[3].

وقد لحظت أن كلمة (يعسوب) فى الكلام الذى نقلته آنفا وقعت مرة مشبها به، ومرة استعارة. ففى قول على يصف أبا بكر رضى الله عنهما فيما يبدو أنه رثاء له، وذكر لمآثره (كنت للدين يعسوبا) وقعت مشبها به، وذلك استعمال حقيقى؛ لأن ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان المشبه به خبرا للمشبه، أو فى حكم الخبر فهو تشبيه[4].

---

(١) لسان العرب: ٥/٣٥٢٦ (قتر). وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٤/١٢.
(٢) ينظر لسان العرب: ١/٤٩٢. (٣) المصدر نفسه: ٤/٢٩٣٦ (عسب).
(٤) ينظر الإيضاح، للخطيب القزوينى: ٧ مع (البغية).

أما فى قوله يتحسر على قتل صاحبه يوم الجمل (لهفى عليك يعسوب قريش) فهى استعارة، وظاهر أنها منادى حذفت منه أداة النداء تقديره يايعسوب قريش، وقد أشار إليها بقوله (شبهه . .) ويبدو أن قرينتها إضافة يعسوب[1] إلى قريش.

إذا كان اليعسوب قد استعير للرئيس والمقدم من الناس، فقد ذكر صاحب لسان العرب أن الجماجم وهى عظام الرءوس تستعار لرؤساء الناس، وساداتهم فقد قال: «الجم والجمم الكثير من كل شيء، ومال جم كثير. . . والجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدماغ. وجماجم القوم ساداتهم سموا بذلك تشبيها بذلك وجماجم العرب رؤساؤهم»[2].

وبناء على ما ذكره يمكن أن يقال - مثلا- حضر الحفل جماجم القوم أى ساداتهم، وقد أومأ إلى تلك الاستعارة بكلمة تشبيه فى قوله: (سموا بذلك تشبيها بذلك).

وفى هذا الصدد، وعلى تلك الوتيرة ما ذكره من استعارة (البدر) لسيد القوم فقد قال: «وبدر القوم سيدهم على التشبيه بالبدر قال ابن أحمر:

وقد نضرب البدر اللجوج بكفه عليه ونعطى رغبة المتودد»[3]

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة (الأقماع) التى تفرغ فيها السوائل، ولا يبقى فيها أثر منها، لآذان الناس الذين يسمعون المواعظ، ولا يعملون بها فقد قال: «والقَمَع، والقمع ما يوضع فى فم السقاء، والزق والوطب[4] ثم يصب فيه الماء، والشراب، أو اللبن سمى بذلك لدخوله فى الإناء. . . والجمع أقماع. . . والأقماع الآذان والأسماع، وفى الحديث ويل لأقماع القول، ويل للمصرين، قوله ويل لأقماع القول يعنى الذين يسمعون القول، ولا يعملون به. . . شبه آذانهم وكثرة ما يدخلها من المواعظ وهم مصرون على ترك العمل بها بالأقماع التى تفرغ فيها الأشربة، ولا يبقى فيها شيء منها، فكأنه يمر عليها مجازا، كما يمر الشراب فى الأقماع اجتيازا»[5].

---

(١) لعل من المفيد أن أشير إلى أن صاحب اللسان ذكر فى آخر مادة (عسب) أن اليعسوب اسم فرس سيدنا رسول الله ﷺ، واسم فرس الزبير بن العوام رضى الله عنه.

(٢) لسان العرب: ١ / ٦٨٩ (جمم). (٣) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٩ (بدر).

(٤) الوطب سقاء اللبن خاصة وجمعه أوطب وأوطاب. ينظر لسان العرب: ٦ / ٤٨٦٥ (وطب).

(٥) المصدر نفسه: ٥ / ٣٧٤٠، ٣٧٤١ (قمع). وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٤ / ١٠٩.

فالأقماع فى الأصل ما توضع فى الآنية، لتجتازها السوائل، وتعبرها، وقد استعيرت للآذان، التى تمر بها المواعظ، والنصائح، ولا يفيد أَصْحَابُها شيئًا، فكأنها مجاز، ومعبر يدخل فيها الكلام ثم يخرج دون أن يجدى أو ينجع.

وهذه استعارة أصلية، جاءت مجرورة باللام (لأقماع القول) وقرينتها فيما يبدو إضافة (أقماع) لكلمة (القول) وقد أشار إليها بالفعل (شبه..) وقد أجرى هذه الاستعارة إجراء كاملا، ولم يبق إلا التصريح بلفظها.

وهذه صورة رائعة من البيان النبوى الشريف فيها ذم، وقدح لهؤلاء الناس الذين يستمعون أطيب القول، ولا يتبعون شيئًا منه، وفيها كذلك تنفير من هذه الصفة المرذولة، وزجر عنها.

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة البيضة من الحديد، لاجتماع القوم، والتئام شملهم فقد قال: «والبيضة واحدة البيض من الحديد، وبيض الطائر جميعا، وبيضة الحديد معروفة، والجمع بيض، وفى التنزيل العزيز ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] ويجمع البيض على بيوض...»[1].

فالبيضة تطلق على بيضة الطير، وبيضة الحديد على سبيل الحقيقة، كما ينبىء بذلك كلامه المتقدم، ولكنه أضاف قائلا: «وبيضة القوم أصلهم، والبيضة أصل القوم ومجتمعهم، يقال أتاهم العدو فى بيضتهم، وقوله فى الحديث ولا تسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم يريد جماعتهم وأصلهم أى مجتمعهم، وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم أراد عدوا يستأصلهم، ويهلكهم جميعهم... فكأنه شبه اجتماعهم، والتئامهم ببيضة الحديد، ومنه حديث الحديبية ثم جئت بهم لبيضتك تفضها[2] أى أصلك وعشيرتك»[3].

فالاستعارة الأصلية فى (بيضة) من قوله (أتاهم العدو فى بيضتهم) وقوله (فيستبيح بيضتهم) وقوله (ثم جئت بهم لبيضتك..) استعيرت بيضة الحديد للأصل والتجمع، والتئام الشمل، استعارة محسوس لمعقول.

---

(١) لسان العرب: ١/٣٩٨ (بيض).

(٢) فضها-أى خرقها - المعجم الوجيز (فضض).

(٣) لسان العرب: ١/٣٩٩ (بيض). وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ١/١٧٢.

وقد أشار إلى هذه الاستعارة بالفعل (شبه) وذكر المستعار منه، أعنى بيضة الحديد، والمستعار له، وهو اجتماعهم فى قوله (شبه اجتماعهم، والتئامهم ببيضة الحديد).

ومن ذلك ما ذكره من استعارة العنتر وهو الذباب للإنسان تصغيرا لشأنه فقد قال: « العنتر الشجاع، والعنترة الشجاعة فى الحرب.. وعنتر وعنترة اسمان منه... والعنتر، والعنترة كله الذباب، وفى حديث أبى بكر وأضيافه -رضى الله عنهم- قال لابنه عبد الرحمن يا عنتر هكذا جاء فى رواية، وهو الذباب شبهه به تصغيرا له وتحقيرا.. »[1].

وقد بدت لى ملاحظة من خلال كلام صاحب اللسان حول هذه الاستعارة، والتى قبلها أعنى استعارة بيضة الحديد لاجتماع القوم، وشدة تماسكهم مؤداها أن الكلمة إذا كان لها عدة معان حقيقية متساوية فى درجتها، تستعار من أحد هذه المعانى دون غيره على حسب الغرض المروم منها، ويحدد السياق المعنى المراد بها.

وقد تجلى ذلك فى استعارة بيضة الحديد، دون بيضة الطائر، لأن الغرض منها قوة ترابط القوم، واجتماع شملهم، وتآزرهم، وبيضة الطائر تؤدى عكس هذا المطلوب، وكذلك استعير (عنتر) بمعنى الذباب، دون الشجاعة، لأن الغرض منها هو التحقير، وتهوين أمر المستعار له.

ومن هذا اللون الذى سمى الاستعارة فيه تشبيها ما ذكره من استعارة الباقعة، وهو الطائر الحذر، للإنسان الشديد الحذر والاحتيال، فقد قال: « .. والباقعة عند العرب الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من البقاع، والبقاع مواضع يستنقع فيها الماء، ولا يرد المشارع، والمياه المحضورة خوفا من أن يحتال عليه فيصطاد، ثم شبه به كل حذر محتال »[2].

ولم يمثل صاحب اللسان فى كلامه المتقدم لاستعارة الباقعة للإنسان الحذر، وعمم فى كلامه حين قال: (.. ثم شبه به كل حذر محتال) وعلى ذلك يمكن حمل كلامه على التشبيه الاصطلاحى فيقال كما جاء فى بعض المراجع اللغوية وهو باقعة من

---

(١) لسان العرب: ٤ / ٣١٢٢ (عنتر). والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣ / ٣٠٧.
(٢) لسان العرب: ١ / ٣٢٧ (بقع).

البواقع للكيس الداهية من الرجال[1] لأن المشبه والمشبه به مذكوران، ويمكن أن يقال على سبيل الاستعارة قاد المحاربين فى هذه المعركة باقعة فانتصروا على عدوهم ونحو ذلك.

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة (الغربان) أى سوادها، لخمر النساء، إذا كانت سوداء اللون واستعارة الغراب لسواد الشعر زمن الشباب، فقد قال: «والغراب الطائر الأسود والجمع أغربة وأغرب، وغربان، وغرب... ويقولون -أى العرب - طار غراب فلان إذا شاب رأسه... وفى حديث عائشة لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] فأصبحن على رءوسهن الغربان، شبهت الخُمر بالغربان جمع غراب... وقوله:

زمان على غراب غداف فطيره الشيب عنى فطارا

إنما عنى به شدة سواد شعره زمان شبابه، وقوله فطيره الشيب لم يرد أن جوهر الشعر زال، لكنه أراد أن السواد أزاله الدهر، فبقى الشعر مبيضا»[2].

هذا الكلام يتضمن استعارتين:

إحداهما: استعارة (الغربان) للخمر السوداء التى وضعتها النساء على رءوسهن فى قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها (فأصبحن على رءوسهن الغربان) أى الخمر، وقد أشار إليها صاحب اللسان بقوله: (شبهت الخمر بالغربان) فأطلق عليها التشبيه باعتبار الأصل.

الثانية: استعارة الغراب لسواد شعر الإنسان إبان شبابه فى قول الشاعر:

زمان على غراب غداف... (البيت)

وهذه الاستعارة مفهومة من تناوله لمعنى غراب غداف، والغداف هو الغراب[3] ولعله تأكيد بالمرادف.

ومن ذلك اللون ما ذكره من استعارة (النسر) للشيب فى البياض، وقد جاءت هذه الاستعارة مقترنة باستعارة (ابن دأية) أى الغراب للشباب فى السواد - أى سواد

(١) غراس الأساس (بقع).
(٢) لسان العرب: ٥/٣٣٢٩ (غرب). وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣/٣٥٢.
(٣) ينظر لسان العرب: ٥/٣٢١٨ (غدف).

شعر الشباب – فى بيت من الشعر، فقد قال: «واللغز واللغز ما ألغز من كلام فشبه معناه[1] مثل قول الشاعر:

ولمـــا رأيت النسر عـــز ابن دأية وعشش فى وكريه جاشت له نفسى

أراد بالنسر الشيب شبهه به لبياضه، وشبه الشباب بابن دأية وهو الغراب الأسود؛ لأن شعر الشباب أسود»[2].

فاستعارة (النسر) للشيب أصلية، وقد ألمع إليها بقوله: (شبهه به لبياضه) أى شبه الشيب بالنسر فى البياض، وهو بذلك يشير إلى أطراف تلك الاستعارة، المستعار له الشيب، والمستعار منه النسر، والجامع البياض، وذكر أنها تشبيه باعتبار الأصل، واستعارة (ابن دأية) أى الغراب للشباب أصلية ولمع إليها بقوله: (وشبه الشباب بابن دأية، وهو الغراب الأسود...).

أى شبه الشباب – أى شعره – بالغراب.

وفى ذلك إشارة لأطراف هذه الاستعارة، فالمستعار له الشباب، والمستعار منه الغراب، والجامع السواد. وأطلق عليها الفعل (شبه) باعتبار الأصل.

وقد بين فى كلامه المتقدم أن (ابن دأية) هو الغراب الأسود، لكنه لم يبين لنا فى هذا الموضع معنى الدأية، ولم سمى الغراب بذلك؟

وقد بين ذلك فى موضعه من مواد اللسان، فذكر أن «الدأى جمع الدأية وهى فقار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير خاصة»[3].

وبين فى موضع آخر سبب تسمية الغراب بابن دأية فقال «وابن دأية الغراب؛ سمى بذلك لأنه يقع على دأية البعير فينقرها، وقال الشاعر يصف الشيب:

ولمـا رأيت النســر عـــز ابن دأية وعشش فى وكريه جاشت له نفسى»[4]

بقى فى الاستعارتين شىء لم يحم حوله صاحب اللسان، وهو ترشيح الاستعارتين وقد عرض له الزمخشرى، وهو بصدد بيان الترشيح فى قوله تعالى:

---

(١) اللغز الكلام الذى لبس معناه. ينظر لسان العرب: ٥/٤٠٤٧ (لغز).
(٢) المصدر نفسه والموضع. (٣) المصدر نفسه: ٢/١٣١٣ (دأى).
(٤) المصدر نفسه: ٢/١٣١٤ (دأى).

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ .. ﴾ [البقرة : ١٦] فقال : (لما شبه الشيب بالنسر، والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر)[١].

والمراد (بوكريه) الرأس واللحية، والتعشيش، والوكران يناسبان النسر، والغراب المستعار منهما فذكرهما ترشيح، وتقوية للاستعارة، لأن فيه مبالغة بتناسى الاستعارة[٢].

ومعنى البيت أن الشاعر لما رأى الشيب قد اشتعل فى رأسه ولحيته، ومحا الشعر الأسود، واحتل مكانه، حزن، واشمأزت نفسه، وضاق صدره، وشعر بالغثيان.

ومن هذا النمط الذى صرح فيه بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة (حموشة الساقين) أى دقتهما، لدقة البدن كله فقد قال : « والحُمشُ والْحُموُشة والحَمَاشة الدقة، ولثَةٌ حمشة دقيقة حسنة، وهو حَمْش الساقين والذراعين بالتسكين . . . دقيقهما، وذراع حَمْشة . . . وكذلك الساق والقوائم . . . وقد حَمُشت ساقه . . إذا دقت، وكان عبد الله بن مسعود حَمْش الساقين »[٣].

فحماشة هذه الأعضاء التى ذكرها : الساقان، واللثة، والذراعان، والذراع، والقوائم هى دقتها ولم يذكر أن هذه الصفة حميدة حسنة إلا فى اللثة فى قوله (ولثة حمشة دقيقة حسنة أما الأعضاء الباقية، فقد صرح بأنها دقيقة هكذا غفلا دون مدح أو قدح.

ويبدو أنها صفة ذم فيما عدا اللثة، ويعزز ذلك سياق الحديث الذى جاء فى دقة ساقى عبدالله بن مسعود – رضى الله عنه– فقد وجدت فى مسند الإمام أحمد حديثا مرويا عن ابن مسعود أنه كان يجتنى سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ مم تضحكون؟ قالوا يا نبى الله من دقة ساقيه فقال والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد[٤].

واضح من كلام صاحب اللسان أن وصف هذه الأعضاء التى ذكرها حقيقة لا مجاز فيه.

---

(١) الكشاف : ١ / ٣٧.
(٢) ينظر شواهد الكشاف : ٤٠، والإيضاح للخطيب القزوينى : ١٤١ (البغية).
(٣) لسان العرب : ٢ / ٩٩٥ (حمش).
(٤) مسند أحمد جـ٧ الحديث رقم ٣٩٩١.

ولذلك قال عقب كلامه المتقدم «وفى حديث الزنا فإذا رجل حمش الخلق، استعاره من الساق للبدن كله أى دقيق الخلقة»[1] والشيء الدقيق الذى لا غلظ له[2].

فصفة (حمش الخلق) مستعارة من حموشة الساق، أو الساقين، لحموشة الجسم كله، ودقته استعارة محسوس لمحسوس.

ثالثتها: أن يجمع فى التعبير عنها بين التشبيه، والاستعارة.

ومن ذلك ما ذكره من استعارة (الندبة) بالتحريك والفتح، وهى أثر الجرح الذى يبقى فى الجلد، لأثر ضرب موسى -عليه السلام - الحجر بعصاه، وأيضاً لأثر الهجاء فى أعراض المهجوين، فقد قال: «الندبة أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، والجمع ندب، وأنداب وندوب..»[3] وهذا استعمال حقيقى للندبة.

ثم ذكر بعد ذلك استعارتها لأثر الضرب فى الحجر فقال: «وفى حديث موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وإن بالحجر ندبا ستة، أو سبعة من ضربه إياه، **فشبه** أثر الضرب فى الحجر بأثر الجرح»[4].

فالاستعارة فى كلمة (ندبا) وهى اسم إن مؤخر، وظاهر أنها أصلية، وقد عبر عنها بالتشبيه فى قوله (فشبه أثر الضرب.. إلخ) وهى استعارة محسوس لمحسوس، ولعل فيها تلويحا إلى شدة موسى عليه السلام، وقوته، وقد أشار القرآن الكريم إلى قوته فى قوله تعالى: ﴿ ... **فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ** ﴾ [القصص: ١٥] أى ضربه بيده فأرداه قتيلا[5].

ثم أردف ذلك باستعارة (الندبة) لأثر الهجاء فى الأعراض وثلمها، فقال: «**واستعاره** بعض الشعراء للعرض فقال:

نبئت قافية قيلت تناشدها ... قوم سأترك فى أعراضهم ندبا

---

(١) لسان العرب: ٢/٩٩٦ (حمش) وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٤٤١ (حمش).

(٢) لسان العرب: ٢/١٤٠٢ (دقق)

(٣) لسان العرب: ٦/٤٣٧٩ (ندب).

(٤) المصدر نفسه: ٦/٤٣٨٠.

(٥) ينظر - مثلا - التفسير الكبير للفخر الرازى ١٢/٢/٢٣٤.

أى أجرح أعراضهم بالهجاء فيغادر فيها ذلك الجرح ندبا»[1] أى إنه سيحدث فى أعراضهم جرحا لا يندمل، وأثرا لا ينمحى، لتجرئهم على تناشد الشعر فيه، وذمه، وقد عبر عن الشعر بالقافية وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية وهو مجاز مشهور كما فى قول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يـــوم فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجـــانى

وغير خاف أن الاستعارة الأخيرة فى كلمة (ندبا) فى عجز البيت، وهى مفعول به، وقد عبر عنها بالاستعارة فى قوله (واستعاره بعض الشعراء للعرض) والملحظ هنا أنه عبر عن استعارة واحدة مرة بالتشبيه، باعتبار الأصل، ومرة بالاستعارة، ونفيد من ذلك أن الكلمة الواحدة يمكن أن تستعار للذات، والجوهر، أى الشيء المحسوس، وتستعار مرة أخرى للعرض، أو للشيء المعقول، فهى معطاء ثرية.

ومن هذا النوع كذلك ما ذكره من استعارة الضحضاح، وهو القليل من الماء على وجه الأرض للقليل من النار يوم القيامة فقد قال: «والضحضح والضحضاح الماء القليل يكون فى الغدير وغيره، والضحل مثله... وماء ضحضاح أى قريب القعر، وفى حديث أبى المنهال فى النار أودية فى ضحضاح، شبه قلة النار بالضحضاح من الماء فاستعاره فيه، ومنه الحديث الذى يروى فى أبى طالب وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح، وفى رواية إنه فى ضحضاح من نار يغلى منها دماغه، والضحضاح فى الأصل ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، واستعاره للنار»[2].

فجمع بين التشبيه والاستعارة، وهو يتناول هذه الاستعارة فى قوله: (شبه قلة النار بالضحضاح من الماء فاستعاره فيه) وظاهر أنها استعارة أصلية، وقد كرر فى عجز كلامه المذكور أن الضحضاح استعير للقليل من النار.

ويقابل الضحضاح الطمطام، وهو الماء الكثير، ويستعار للنار العميقة القعر، سحيقة الأعماق، وقد أورد صاحب اللسان هذه الاستعارة فى موضعها من لسانه

---

(١) لسان العرب ٦ / ٤٣٨٠ (ندب).

(٢) لسان العرب: ٤ / ٢٥٥٧ (ضحضح). والنهاية فى غريب الحديث الأثر: ٣ / ٧٥.

فقال: «والطمطام النار الكبيرة... وفى الحديث أن النبى ﷺ - قيل له هل نفع أبا طالب قرابته منك؟ قال بلى وإنه لفى ضحضاح من نار، ولولاى، لكان فى الطمطام أى فى وسط النار، وطمطام البحر وسطه، استعاره ههنا لمعظم النار حيث استعار ليسيرها الضحضاح وهو الماء القليل الذى يبلغ الكعبين»[1].

وقد صرح بلفظ (استعار) وحده فى الأخيرة، ولكننى ذكرتهما متجاورتين هنا لما بينهما من شدة التآزر، والترابط، ووحدة الغرض، والهدف.

رابعتها: أن يعبر عن الاستعارة الأصلية (بالمثل) ومن ذلك ما ذكره من استعارة الصلعاء وهى التى ذهب مقدم شعر رأسها، للداهية الشديدة فقد قال: «الصلع ذهاب الشعر من مقدم الرأس إلى مؤخره، وكذلك إن ذهب وسطه.. وهو أصلع بيِّن الصلع.. والصلعاء الداهية الشديدة على المثل أى أنه لا متعلق منها، كما قيل لها مرمريس من المراسة أى الملاسة، يقال لقى منه الصلعاء»[2].

واضح أن (الصلعاء) مستعار منه، وقد استعيرت للداهية الشديدة التى لا نجاة، ولا خلاص منها، وهذا مثل قولهم للداهية مرمريس أى أنها كالصخرة الملساء التى لا يمكن أن يتعلق بها من وقع فى ورطة لشدة مراستها، وملاستها، وقد عبر عنها صاحب اللسان بقوله: (والصلعاء الداهية الشديدة على المثل..).

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة العقد، والعناج للعهد فقد قال: «العناج خيط أو سير يشد فى أسفل الدلو ثم يشد فى عروتها أو عرقوتها» وأضاف قائلا: «ثم قال الحطيئة يمدح قوما عقدوا لجارهم عهدا فوفوا به ولم يخفروه:

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا[3]

وهذه أمثال ضربها لإيفائهم بالعهد... وقد عنج الدلو يعنجها عنجا عمل لها ذلك يقال: إنى لأرى لأمرك عناجا أى ملاكا مأخوذ من عناج الدلو وأنشد الليث:

وبعض القول ليس له عناج كسيل الماء ليس له إناء[4]

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٢٧٠٦ (طمطم). والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٣/ ١٣٩.
(٢) لسان العرب: ٤/ ٢٤٨٢ (صلع).
(٣) الكرب الحبل الذى يشد على الدلو ينظر لسان العرب: ٥/ ٣٨٤٦ (كرب).
(٤) لسان العرب: ٤/ ٣١٢٢ (عنج).

فالعناج المشدود، والحبل المعقود، وهما من الأشياء المحسوسة استعيرا للوفاء بالعهد.

وقد صرح بهذه الاستعارة صاحب الكشاف عند تفسير قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] فقال: «العقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه، قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا لجارهم (البيت)[١]

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الإبّالة وهى الحزمة من الحشيش والحطب للمصائب، والبلايا فقد قال: «والأبيل والأبيلة والإبالة الحزمة من الحشيش، والحطب التهذيب والإيبالة الحزمة من الحطب، ومثل يضرب ضغث على إيبالة أى زيادة على وقر، قال الأزهرى، وسمعت العرب تقول ضغث على إبالة غير ممدود ليس فيها ياء، وكذلك أورده الجوهرى أيضًا أى بلية على أخرى كانت قبلها»[٢].

فالإبالة شيء محسوس كما بين ووضح، والضغث، وهو من الكلمات القرآنية التى يألفها المسلم فى قوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ .. ﴾ [ص: ٤٤] - هو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك[٣]. وذلك شيء محسوس أيضًا. استعير كل منهما للبليّة، أى نزلت به بلية، على أخرى نزلت قبلها وقد قيل المصائب لا تأتى فرادى. وقد سماهما صاحب اللسان اتباعا للغويين الذين نقل عنهم (مثلا).

ويمكن اعتبار ذلك من قبيل الاستعارة التمثيلية، استعيرت صورة وضع حزمة من الحشيش أو الريحان على حزمة أخرى من الحطب، لصورة بلية حلت ونزلت بساحة من نزلت به أخرى قبلها أدهى وأمر.

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة الأعمى للكافر، والبصير للمؤمن، ونحو ذلك من الاستعارات فقد قال: «وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ... ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢١] قال الزجاج هذا

---

(١) الكشاف: ١/ ٣٢٠.
(٢) لسان العرب: ١/ ١١ (أبل).
(٣) الكشاف: ٣/ ٣٣٠.

مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين والمعنى وما يستوى الأعمى عن الحق وهو الكافر، والبصير وهو المؤمن الذى يبصر رشده، ولا الظلمات ولا النور، الظلمات الضلالات، والنور الهدى، ولا الظل ولا الحرور أى لا يستوى أصحاب الحق الذين هم فى ظل من الحق، ولا أصحاب الباطل الذين هم فى حر دائم»(١).

فهذه استعارات أصلية وقد ارتضى صاحب اللسان ما ارتضاه الزجاج من أنها (مثل) أو إن شئنا التحديد أمثال للمؤمن والكافر.

ولعل صاحب الكشاف قد ارتضى هذه الوجهة، وأن ما فى هذه الاستعارات أمثال للمؤمن، والكافر فقد قال:

« [الأعمى والبصير] مثل للكافر، والمؤمن... والظلمات النور، والظل والحرور مثلا للحق والباطل، وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب، والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا فى الإسلام، والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر..»(٢).

ومن هذا الضرب الذى أطلق فيه على الأصلية كلمة المثل ما ذكره من استعارة الجبهة لسيّد القوم فقال:

«وجبهة القوم سيدهم على المثل»(٣)

وكذلك إطلاق العرانين على سادة القوم فقد قال:

«وعرانين الناس وجوههم وعرانين القوم سادتهم وأشرافهم على المثل»(٤).

ومن هذا الضرب الذى اعتبر الاستعارة الأصلية فيه مثلا ما ذكره من استعارة (الذواق) وهو المأكول والمشروب، للعلم، والأدب، فقد قال:

«الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقا، وذواقا، ومذاقا، فالذواق والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعما كما تقول ذواقه ومذاقه طيب، والمذاق طعم الشيء، والذواق هو المأكول والمشروب، فى الحديث لم يكن يذم ذواقا... وفى الحديث كانوا إذا خرجوا من عنده لا يتفرقون إلا عن ذواق، ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده من الخير أى لا يتفرقون إلا عن علم، وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسادهم»(٥).

---

(١) لسان العرب: ٤/٣١١٦ (عمى).
(٢) الكشاف: ٣/٢٧٣.
(٣) لسان العرب: ١/٥٤٠ (جبه).
(٤) المصدر السابق: ٤/٢٩١٧ (عرن).
(٥) لسان العرب: ٣/١٥٢٦ (ذوق).

والذى يهمنا من كلام صاحب اللسان الآنف الذكر أن المذاق والذواق يكونان مصدرين للفعل (ذاق) كل منهما يدل على المعنى دون الذات – كما هو معلوم مشهور – ويكونان طعما للشيء كما فى قولنا ذواقه طيب، ومذاقه طيب، والذواق أيضًا يأتى بمعنى المأكول والمشروب، ومنه ما ذكر فى الحديث من أنه ﷺ لم يكن يذم ذواقا أى مأكولا أو مشروبا، وهذا على سبيل الحقيقة. وقد استعير بهذا المعنى المحسوس لما يفيد الإنسان ويغذى روحه من الأمور المعنوية كالعلم، والأدب.

وقد تجلى ذلك فى الحديث الذى ذكره فى عجز كلامه المتقدم، وقد أطلق على هذه الاستعارة كلمة (مثلا) أو على حد تعبيره(ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده).

وهى كما يبدو استعارة أصلية استعير فيها المحسوس للمعقول، وهو فى هذا ناقل عن ابن الأثير، وآخذ عنه، فقد قال ابن الأثير: « ومنه الحديث: كانوا إذا خرجوا من عنده – أي من عند رسول الله ﷺ– لا يتفرقون إلا عن ذواق ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده من الخير أى لا يتفرقون إلا عن علم وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم »(١).

خامستها: أن يجمع بين الاستعارة والمثل كما ذكر من استعارة (الورطة) وهى الهوة العميقة فى الأرض، للشدة، أو البلية فقد قال: « والورطة الوحل والردغة تقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص منها يقال تورطت الغنم إذا وقعت فى ورطة، ثم صار مثلا لكل شدة وقع فيها الإنسان »(٢).

فالورطة التى تقع فيها الغنم حقيقة، أما لو قيل وقع فلان فى ورطة أى فى شدة يعسر التخلص منها، فإنها استعارة أصلية –كما لا يخفى – وقد سماها مثلا.

وقد صرح فى الموضع نفسه بأنها استعارة أيضًا حين قال: « .. وقيل الورط أن يجعل الغنم فى وهدة من الأرض لتخفى على المصدّق أى الذى يأخذ الصدقة وهى الزكاة كما يفهم من السياق – مأخوذ من الورطة وهى الهوة العميقة فى الأرض، ثم استعير للناس إذا وقعوا فى بلية يعسر المخرج منها »(٣).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢ / ١٧٢.
(٢) لسان العرب: ٦ / ٤٨١٣ (ورط).
(٣) المصدر نفسه والموضع.

فالورطة فى الأصل الهوة، أو الوهدة، توضع فيها الغنم، لإخفائها عن جامع الزكاة، هروبا، أو تهربا، شنشنة قديمة حديثة، وإن اختلفت السبل، والوسائل، وألوان الغش والخداع عند هؤلاء المتهربين.

وقد عبر عنها بأخرة بقوله (ثم استعير للناس) إلخ فعاقب بين الاستعارة والمثل، وهو يعرض لاستعارة واحدة.

ومن ذلك الضرب ما ذكره من استعارة (الربقة) وهى العروة التى توضع فى رقبة البهيمة، أو رجلها ابتغاء المحافظة عليها، لأوامر الإسلام، ونواهيه، وأحكامه، وحدودة فقد قال:

« وأخرج ربقة الإسلام من عنقه فارق الجماعة، ويروى عن حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، الربقة فى الأصل عروة فى حبل يجعل فى عنق البهيمة، أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام يعنى ما يشد به المسلم به نفسه من عرى الإسلام أى حدوده، وأحكامه، وأوامره ونواهيه »[1].

فالربقة، أو الربق فى الأصل العروة، أو الحبل، أو الحلقة تشد بها الغنم، أو البهائم عامة، والجمع أرباق، ورباق، وربق[2].

وقد استعيرت (الربقة) لتعاليم الإسلام التى التزم بها المسلم، وهى من استعارة المحسوس للمعقول.

وقد ذكر صاحب اللسان فى الموضع نفسه أنه يقال فرج عنه ربقته أى كربته فقال: « وفى الصحاح الربق بالكسر حبل فيه عدة عرى تشد به البهم الواحدة من العرى ربقة، وفرج عنه ربقته أى كربته وكل ذلك على المثل »[3].

فالربقة – كما قال – استعيرت للإسلام وتعاليمه كلها، التزمها المسلم، وعاهد الله على الوفاء بها، وعاش سعيدا فى رحابها.

وأشار إلى أنها استعيرت لعكس ذلك، استعيرت للكربة التى تكاد تخنق الإنسان، وتكتم أنفاسه، وتجعل صدره ضيقا حرجا، فيقال له إذا فرج الله غمه، وأزاح

---

(١) لسان العرب: ٣ / ١٥٧٠ (ربق). والنهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢ / ١٩٠.
(٢) ينظر لسان العرب: ٣ / ١٥٧٠ (ربق). (٣) المصدر نفسه والموضع.

عنه همه فرج الله ربقتك أى كربتك. وقد عبر عن هذه الاستعارة مرة بالمثل فى قوله(وكل ذلك على المثل..) ومرة بقوله (فاستعارها للإسلام..) .

وهذه أول مرة أجد فيها كلمة واحدة استعيرت للمعنى، وضده فاكتسبتا حسنا يروق ويعجب، ويطرب ويخلب وصدق من قال:

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

سادستها: أن يشير إلى الاستعارة الأصلية بالجمع بين التشبيه والمثل، وقد ذكر ذلك عند حديثه عن استعارة (الدّر) وهو اللبن الكثير للخير والعطاء على سبيل العموم فقد قال: «در اللبن والدمع ونحوهما يَدِر ويدُر درّا ودرورا وكذلك الناقة إذا حلبت فاقبل منها على الحالب شيء كثير قيل در، وقولهم لا در دره أى لا زكا عمله على المثل، قال أبو بكر وقال أهل اللغة فى قولهم لله دره الأصل فيه أن الرجل إذا كثر خيره وعطاؤه وإنالته الناس قيل لله دره أى عطاؤه وما يؤخذ منه فشبهوا عطاءه بدر الناقة ثم كثر استعمالهم حتى صاروا يقولونه لكل متعجب منه»[1].

فالدر وهو اللبن قد استعير للخير الكثير، والعطاء الوافر، وهذه كما يبدو استعارة أصلية، وقد أشار إليها بقوله (فشبهوا بدر الناقة) وقوله (... أى لا زكا عمله على المثل) فجمع فى التعبير عنها بين التشبيه والمثل، ويبدو أن هذه الاستعارة إذا قيلت لكل متعجب منه على وجه العموم تكون استعارة تمثيلية، استعيرت فيها صورة لصورة.

سابعتها: ألا يصرح بشيء يومىء به إلى الاستعارة، ولكنها تفهم من خلال كلامه وبيانه، كما فهم من استعارة النيران للسيوف، فقد قال: «.. وقوله:

فإن تعافوا العدل والإيمانا فإن فى أيماننا نيرانا

فإنه يعنى بالنيران سيوفا أى فإنا نضربكم بسيوفنا، فاكتفى بذكر السيوف عن ذكر الضرب بها»[2].

وهذه استعارة مشتهرة، أوردها الخطيب القزوينى أثناء كلامه عن قرينة

---

(١) لسان العرب: ٢/١٣٥٦ (درر).

(٢) لسان العرب: ٤/٣١٩٢ (عيف).

الاستعارة حين قال: «وقرينة الاستعارة إما معنى وواحد كقولك رأيت أسدا يرمي، أو أكثر كقول بعض العرب:

فإن تعافوا.... البيت.

أي سيوفا تلمع كأنها شعل نيران... فقوله تعافوا باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل، وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك؛ لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف»[1].

وقد اكتفى صاحب اللسان بأن (نيرانا) يعنى بها السيوف، وصرح بأن الشاعر اكتفى بذكر السيوف عن الضرب بها، ولعله يقصد أنه اكتفى بالنيران المستعارة للسيوف، عن السيوف وإلا فإن المكتفى به هو كلمة (نيرانا) ولعل ذلك سهو فى التعبير.

* * *

(١) الإيضاح ١١٩، ١٢٠ مع (البغية).